لم يكن ظهور الإسلام إذن القبر الذى يدفن فيه الشعر ، بل ما كان الإسلام الداء الذى أصاب الشعر بالضعف والهزال ، وهو الذى أنطق فى مكة قوماً ما كانوا ينطقون ، أنطقهم بالشعر من دون غيره ، فصار فيهم الشعراء ولم يكونوا شعراء .. وهذا وحده دليل على أن الشعر العربى بعد ظهور الإسلام لم ينضب معينه ولا ركد ماؤه ، فقد كانت الحياة الإسلامية من حوله فى كل يوم تتجدد وتتكشف ما بين لحظة وأخرى عن جديد ، وإذا كانت الحياة تسير على هذا النحو من التجدد والتطور والتحول مرتبطة بالإسلام متشعبة عنه ، فما كان للشعر أن ينفصل عن حركة الحياة ذاتها أو يختلف عنها فى شىء .

فإذا قلت أنت رداً على هذا إن الشعر حقاً يجرى مع الحياة حيثما جرت ، ويندفع مع التيار حين يندفع التيار ، ولكن هذا لا يعنى أن الفن الشعرى ذاته قد تغير إلا إذا تغير النهج وتجدد الموضوع وقامت الصنعة الشعرية على أصول غير ما كانت عليه الأصول ... إذا قلت هذا أقول إنك تثير بذلك أشياء سبق أن مرت بنا منذ قليل ، وتريد أن تعود بنا إليها ، ولكننا لا نعود ، لأننا نريد أن نمضى فيما نحن ماضون فيه ، وإن كنا نحب أن نقول إن التجدد لابد أن يصحبه تجدد فى الدماء ، وأن التغير والتحول لابد أن يرافقهما تحول فى الروح وتغير فى الفن . . فتجدد الهواء لابد أن يتخلله الجديد من النسمات ، كما أن التموج فى البحر لابد أن يثير فى الماء أشياء غير ما كان يطفو على السطح من أشياء ، ومع هذا فان التحول أو التطور لا يعنى أن يحل محل الهواء غاز آخر ينفر منه الهواء ، أو أن يستبدل الماء بسائل غريب ينبو عن الماء وينبو الماء عنه ... وإنما الأمور تتغير أو تتبدل فى نطاق ما تفرضه طبيعة الأشياء دون أن يكون بين القديم والجديد نبوة أو أن تقوم بينهما جفوة ، أو أن تبتر العلائق وتنحل الوشائج ، ودون أن ينفصل الطائر عن عشه فيهيم على وجهه من غير موطن ... فليس من الضرورى إذن أن يفهم من الجديد على نحو ما رأينا أنه الجديد الذى انسحب به التيار الجارف فى الهوة السحيقة بعيداً عن القديم حتى يصبح الجديد شرقاً والقديم